الباب الخامس

في أخلاق العرب

(الوفـاء):

إن للعرب في الجاهلية أخلاقاً وصفات، يتخلقون بها، ويتفاخرون بها ومنها الوفاء، ولو أدى بهم الحال إلى الهلاك بسبب الوفاء، وقد جاء في المثل العربي قولهم: (أوفى من السموأل بن عاديا)، وقد جاء الإسلام منوِّهاً بها والحثّ عليها، ويروى عن الرسول الكريم ﷺ قوله: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

وقد حرض القرآن على الوفاء بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة النحل: ٩١].

وقالوا: أوفى من عوف بن محلم، وأوفى من فكيهة: وهي: فكيهة بنت قتادة بن منشوء، من بني مالك بن ضبيعة، بن قيس بن ثعلبة، جاهلية اشتهرت بخبر لها مع السليك ابن السلكة العداء المعروف والشاعر الموصوف، وكان فتّاكاً من شياطين العرب، دخل بيوت بني بكر بن وائل، وشعر به القوم يطلبونه، فدخل بيت فكيهة مستجيراً، فأجارته ولحقوا به، فحاولت دفعهم عنه فلم تستطع وانتزعوا خمارها، فصاحت وأقبل إخوتها وأبناؤها فأنقذوه منهم، فقال أبياتاً فيها منوِّهاً بشجاعتها ووفائها منها:

فما عجزت فكيهة يوم قامت ... بنصل السيف وانتشلوا الخمارا
من الخفرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لإخوتها شنارا

وفي رواية أخرى: فكيهة هي امرأة من قيس بن ثعلبة كان من وفائها، أن السليك ابن السلكة غزا بكر بن وائل، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء، فقالوا: والله إن هذا لأثر قدم ترد الماء، فقعدوا له، فلما وافى حملوا عليه حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت ثيابها، فانتزعوا خمارها، فنادت إخوتها فجاؤوا عشرة فمنعوهم عنها، فقال السليك منوِّهاً بموقفها النبيل:

لعمر أبيك والأنباء تُنمى ... لنعم الجار أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا
فما ظلمت فكيهة حين قامت ... لنصل السيف وانتزعوا الخمارا

أوفى من السموأل بن عاديا :

هو السموأل بن غريض بن عاديا اليهودي، كان شاعراً حكيماً، من سكان خيبر شمالي المدينة المنورة، وكان ينتقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق، وقد جاء ذكره في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

حتى قال:

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعزُّ على من رامه ويطول

وكان من وفاء السموأل: أن امرأ القيس بن حجر الكندي، لما أراد الخروج إلى قيصر الروم، استودع السموأل دروعاً له ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، فتحرز منه السموأل في الحصن، فأخذ الملك ابناً للسموأل وكان راجعاً من الصيد، فصاح الملك بالسموأل فأشرف عليه، فقال له: هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي ومن عشيرتي، وأنا أحق بميراثه، فإن دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك.

فقال له السموأل: أجلني، فأجله، فجمع السموأل أهل بيته ونساءه وشاورهم، فكل أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه.

فلما أصبح الصباح أشرف السموأل على الملك، وقال له: ليس إلى دفع الدروع من سبيل، فاصنع ما أنت صانع .

فذبح الملك ابن السموأل وهو مشرف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخيبة، فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرىء القيس بن حجر الكندي وقال في ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا إنه كنز رغيب ولا والله أغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت
طمراً تزلق العقبان عنه إذا ما نابني ظلم أبيت

وقد أشاد الشاعر الجاهلي عامر بن الحارث بن رياح الباهلي الهمذاني بموقف السموأل حيث يقول:

شريح لا تتركني بعدما علقت ... حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل إذا طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجاز غير غدار
إذ سامه خطتي خسف فقال له ... مهما تقله فإني سامع جاري
فقال غدر وثكل أنت بينهما ... فآختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اذبح أسيرك إني مانع جاري
هذا له خلف إن كنت قاتله ... وإن قتلت كريماً غير خواري
فقال تقدمة إذ قام يقتله ... أشرف سموأل فانظر للدم الجاري
أأقتل ابنك صبراً أو تجيء به ... طوعاً فأنكر هذا أي إنكار
فشك أوداجه والصدر في مضض ... عليه منطوياً كاللذع بالنار
وأختار أدراعه أن لا يسب بها ... ولم يكن عهده في غير مختار
وقال لا أشتري عاراً بمكرمة ... فأختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديماً شيمة خلق ... وزنده في الوفاء الثاقب الواري

ذلك هو موقف السموأل بن غريض بن عاديا في الوفاء، يختار أن يُقْتَل ابنه وفلذة كبده، ولا يخفر ذمته، ولا يخون الأمانة، إنه موقف نبيل عظيم من مواقف الأخلاق العربية، وإن المرء وهو يقرأ تلك الصفحات الخالدة ويقارنها بمواقف عصرنا الحاضر عصر العلم والتقدم الحضاري، والعاقل حسبه أن يقارن - ولا مجال للمقارنة - ما فشا بين الناس من عدم الوفاء وتضييع الأمانة.

أوفى من عوف بن محلم:

وفي المثل يقال: (أوفى من عوف بن محلَم)، هو عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشراف العرب في الجاهلية، وكان مطاعاً في قومه، قويّاً في عصبيته.

طلب منه الملك عمرو بن هند رجلاً كان قد أجاره، فمنعه فقال الملك: (لا حّر بوادي عوف)، أي لا سيد في وادي عوف يناوئه، فسار مثلاً.

وكان من وفائه، أن مروان القرظ بن زنباع غزا بكر بن وائل، فقفوا أثر جيشه، فأسره رجل منهم، وهو لا يعرفه، فأتى به أمه فلما دخل عليها قالت له أمه: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ، فقال لها مروان: وما ترجين من مروان القرظ؟.

قالت: عظيم فداؤه، قال: كم ترتجين من فدائه؟. قالت: مائة بعير. قال مروان: ذلك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم، وكان السبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى: (بالمنزوف..)، لما مات أخذت بنو عبس فرسه وسلبه، ثم مالوا إلى خبائه، فأخذوا أهله وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محلم، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب، وذؤاب بن أسماء، فسألها مروان القرظ: من أنت؟.

فقالت: أنا خماعة بنت عوف بن محلم، فانتزعها عمرو وذؤاب، لأنه كان رئيس القوم، وقال لها: غطي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي، حتى أردَّك إلى أبيك.

ووقع بينه وبين بني عبس شرٌّ بسببها، ويقال: إن مروان القرظ، قال لعمرو وذؤاب: حكماني في خماعة، قال: قد حكمناك يا أبا صهبان، قال: فإني اشتريتها منكما بمائة من الإبل، وضمها إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وخدمها، وأكرمها وحملها إلى عكاظ، فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال فيها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟.

فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قبة أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبرت بصنيع مروان القرظ، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه، في أمر خماعة وردها إلى أبيها:

رددت على عوف خماعة بعدما ... خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب
ولو غيرها كانت سبية رمحه ... لجاء بها مقرونة بالذوائب
ولكنه ألقى عليها حجابه ... رجاء الثواب أو حذار العواقب
فدافعت عنها ناشباً وقبيله ... وفارس يعبوب وعمرو بن قارب
ففاديتها لما تبين نصفها ... بكوم المثالي والعشار الضوارب
صهابية حمر العثانين والذرى ... مهاريس أمثال الصخور مصاعب

فكانت تلك يداً لمروان القرظ، عند خماعة، فهذا قال: ذاك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم، فقالت المرأة:

من لي بمائة من الإبل؟ فأخذ عوداً من الأرض فقال: هذا لك بها، فمضت به إلى عوف بن محلم، فبعث إليه الملك عمرو بن هند أن يأتيه به، وكان عمرو وجد على مروان القرظ في أمر، فآلى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده في يدي.

قال عوف: يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما، فأجابه الملك عمرو ابن هند إلى ذلك، فجاء عوف بن محلم بمروان القرظ فأدخله عليه، فوضع يده في يده، ووضع يده بين أيديهما، فعفا عنه، وقال عمرو بن هند حينئذ: لا حرّ بوادي عوف، فأرسلها مثلا، أي لا سيد بوادي عوف يناوئه، وقيل إنما سمي مروان القرظ لأنه كان يغزو اليمن، وهي منابت القرظ.

ولذلك قالوا: أوفى من خماعة، إذ جارت مروان القرظ، ودفع أبوها مائة بعير فداء لمروان القرظ.

تلك أخلاق العرب في الجاهلية، وذلك وفاؤهم، وتلك مواقفهم فهل لنا أن نتخلق بأخلاق الكرام، الذين يحيون النفوس، وإذا كانت أخلاق الصالحين صلاحاً للمقتدي بها؟ ويقول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكِرَامِ فلاح

والإسلام يحثّ على مكارم الأخلاق، والرسول الكريم ﷺ يقول في الحديث الشريف: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

لله درّ الرجلين ما أحكمهما:

ومما يحكى أن النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، وهو صاحب يومي البؤس والنعيم، رأى علاقة من أوثق وأمتن وأفضل ما يكون بين حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، وأوس بن حارثة بن ثعلبة، فحسدهما على تلك الأخوة والصداقة، فقال النعمان بن المنذر يوماً لجلسائه: والله لأفسدنَّ ما بينهما، قالوا: لا تقدر على ذلك لفضل كل منهما، ومعرفة كل بصاحبه.

قال: بلى فقلما جرت الرجال في شيء إلا بلغته، فدخل أوس بن حارثة على النعما ن بن المنذر، فقال يا أوس ما الذي يقول حاتم فيك؟. قال حاتم: وما ذا يقول أوس؟.

قال النعمان: يقول أوس: إنه أفضل منك وأشرف،قال أوس للملك النعمان: أبيت اللعن صدق والله حاتم، لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد، ثم خرج أوس بن حارثة وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحتي أرى حاتماً في قوله متطاولا
له فوقنا باع كما قال حاتم وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل حاتم بن عبد الله الطائي، على الملك النعمان بن المنذر، فقال: له مثل مقالته لأوس بن حارثة، قال حاتم : صدق والله أوس بن حارثة أين عسى أن أقع من أوس بن حارثة ، له عشرة ذكور أخسَّهم أفضل مني ثم خرج وهو يقول:

يسا ئلني النعما ن كي يستزلني وهيهات لي أن أستضام فأ صرعا
كفاني نقصا أن أضيم عشيرتي بقول أرى في غيره متوسعا

فقال الملك النعمان بن المنذر: ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين، فلم ينل مراده من الوقيعة بينهما، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن، أن يثني خيراً على صاحبه، ويذكر أفضل خصاله، فلعل الذي جاء يريد أن يوقع العداوة والبغضاء حسداً من عند نفسه، غاظه أن يرى صديقين متآلفين.

حكاية ذي اليومين:

إن الملك النعمان بن المنذر، هو صاحب يومي البؤس والنعيم، ويروى أن السبب في ذلك، أن النعمان بن المنذر كان ينادمه رجلان من العرب: هما خالد ابن المضلل، وعمرو بن مسعود الأ سدي، فشرب ليلة معهما، فراجعاه الكلام فأغضباه فأمر بهما فقتلا، وجعلا في تابوتين ، ودفنا بظاهر الكوفة.

فلما أصبح وصحا سأل عنهما فأخبر بذلك، فندم وركب حتى وقف عليهما فأمر ببنيان الغَريَّين، وجعل لنفسه في كل سنة يومين: يو م بؤس،ويو م نعيم.

فكان يضع سريره بينهما، فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه وهو على سريره يعطيه مائة من إبل الملوك، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان ويأمر به فيذبح ، ويغرّى بدمه الغريان.

الوفاء من شيم الرجال:

فلم يزل ذلك دأبه، ما شاء الله، فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه إذ طلع عليه أعرابي من طيء، فقال: حيا الله الملك إن لي صبية صغاراً جئتك طالباً نوالك، ولم أوص بهم أحداً، فإن يأذن لي الملك في إتيانهم وأعطيه عهد الله وميثاقه أني أرجع إليه إذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده؟ فرقَّ له الملك النعمان، فقال: لا، إلا أن يضمنك رجل ممن معنا، فإن لم تأت قتلناه، وشريك بن عمرو بن شراحيل نديم الملك النعمان معه ، فقال الطائي:

يا شريك يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كل مضام يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فكّ اليوم عن شيخ غلاله
إن شيبان قبيل أحسن الناس فعاله

فقال شريك: هو عليَّ أصلح الله الملك، فذهب الطائي إلى أهله وأولاده يقطع الفيافي والقفار لكي يوصي بأولاده وأهله، ويودعهم، ويحث الخطى حتى يفي بعهده ووعده.

ثم التفت الملك النعمان إلى شريك قائلاً: إن صدر هذا اليوم قد ولى،لا يرجع ،وشريك يقول : ليس لك سبيل حتى تمسي، فلما أمسى أقبل شخص والنعمان ينظر إلى نديمه شريك، فقال : ليس لك عليَّ سبيل حتى يدنو الشخص.

لا أكون ألأم الثلاثة:

فبينما هم كذلك إذ أقبل الطائي للوفاء، بالعهد والوعد رغم ما ينتظره من مصير، فقال الملك النعمان: والله ما رأيت أكرم منكما، وما أدري أيكما أكرم، ولكن

لاغرو، لا أكون والله ألأم الثلاثة، ألا: إني قد رفعت يوم بؤسي، وخلى سبيل الطائي فأنشأ يقول:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي فأبيت عند تجهر الأقوال
إني امرؤ مني الوفاء خليقة وفعال كل مهذب بذال

فقال الملك النعمان للأعرابي الطائي: ما حملك على الوفاء رغم ما ينتظرك من مصير؟ وقد كان بإمكانك النجاة؟ فقال: الأعرابي: ديني، قال الملك: وما دينك؟ قال الأعرابي: النصرانية، قال الملك: اعرضها علي، فعرضها الأعرابي عليه فأعجبته فتنصر، فمن ذلك الوقت والملك النعمان يدين بالنصرانية.

إنه موقف نبيل عظيم، من مواقف الوفاء، وقد كان درساً مؤثراً لإبطال الملك النعمان تلك العادة السيئة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وموقف شريك بن عمرو النبيل لا يقل خطورة، وهو يعلم سلوك الملك النعمان الذي لا يهمه إلا إنفاذ حكمه، ولو كان في أقرب المقربين إليه.

إن الوفاء خلق من أخلاق العرب، التي جاء الإسلام للحثّ عليها، وقد جبلت النفوس الكريمة إلى فعل الخير، والأخلاق الرفيعة،والخلال الحميدة، يعظم صاحبها، ويتبوأ منزلة عالية في قلوب الناس، وتصدق فيه خطرات الظنون الطيبة، وتحتل محبته في شغاف القلوب، فيا طوبى من كان بهذه المنزلة في قلوب الناس.

والوعد من وجوه الوفاء، فإنه مما لاشك فيه فإن انجاز الوعد هو الثمرة المرجوة من الوفاء بالوعد،وقالوا إذا كان الوعد سحاباً فإن انجازه مطر يحيي به الله الأرض بعد موتها، ووعد الكريم دين ، وتحقيقه أمانة، وتعجيل الوفاء به بر وفضل وكرامة.

قوس حاجب بن زرارة:

أتى حاجب بن زرارة التميمي في جدب أصاب قومه بدعاء رسول الله ﷺ كسرى، فسأله أن يأذن لهم في دخول بلاده حتى يمتاروا: (أي يأتوا بالميرة وهي الطعام).

فقال كسرى: إنكم معشر العرب قوم غدر، فقال حاجب: إني ضامن للملك ألا يفعلوا، فقال له كسرى: فمن لي بأن تفي؟. قال حاجب بن زرارة: أرهنك قوسي، فضحك من حوله، فقال كسرى: ما كان ليخالف فقبلها كسرى منه، وقال: يا حاجب إن قوسك هذه لقصيرة معوجة، قال حاجب: أيها الملك، إن وفائي طويل مستقيم.

وفاء الحارث بن ظالم:

وجاء في المثل: (أوفى من الحارث بن ظالم)، وكان من وفائه، أن عياض بن ديهث مر برعاء الحارث وهم يسقون، فسقى فقصر رشاؤه فاستعار من أرشية الحارث فوصل رشاءه، فأروى إبله، فأغار عليه بعض حشم النعمان فاطردوا إبله، فصاح عياض: يا جاراه يا جاراه، فقال له الحارث: متى كنت جارك؟ فقال: وصلت رشائي برشائك فسقيت إبلي فأغير عليها، وذلك الماء في بطونها، قال: جوار ورب الكعبة، فأتى النعمان، فقال: أبيت اللعن أغار حشمك على جاري عياض بن ديهث فأخذوا إبله وماله فأرددها عليه، فقال له النعمان: أفلا تشد ما وهى من أديمك، يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ ويروى: هل تعدون الحلبة من الأعداء؟ يعني تركضون،ويروى ـ تعدون ـ من التعدي أي تتعدون أي تتجاوزون، فأرسلها مثلاً، أي إنك لا تهلك إلا نفسي إن قتلتها، فتدبر النعمان كلمته، فرد على عياض أهله وماله.

قال الفرزدق يضرب المثل لسليمان بن عبد الملك بن مروان حين وفى ليزيد بن المهلب:

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه ... على كل جار جار آل المهلب
كما كان أوفى إذ ينادي ابن د يهث ... وصرمته كالمغنم المتنهب
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم ... وكان متى ما يسلل السيف يضرب

ذرية بعضها من بعض:

فمات حاجب بن زرارة، فطلبها ابنه عطارد بن حاجب فردت عليه، وكساه كسرى حلة ، فلما أستلمها عطارد أهداها إلى رسول الله ﷺ، فلم يقبلها ، فباعها

بأربعة آلاف درهم، فبقيت قوس حاجب بن زرارة فخراً لبني تميم، قال أبو تمام:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها فخاراً على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وفاء أبي العاص بن الربيع:

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس صهر رسول الله ﷺ، زوج ابنته ﷺ زينب، تاجراً تضاربه قريش بأموالها فخرج إلى الشام فلما رجع من الشام عرض له المسلمون فأسروه وقدموا به المدينة المنورة ليلاً، فأرسل أبو العاص ابن الربيع إلى زينب بنت رسول الله ﷺ، طالباً منها أن تأخذ له أماناً من الرسول.

فخرجت زينب فأطلعت رأسها من باب حجرتها، والنبي ﷺ يصلي بالناس صلاة الصبح، فقالت: أيها الناس، أنا زينب بنت رسول الله، وإني قد أجرت أبا العاص، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال: «**أيها الناس: إنه لا علم لي بهذا حتى سمعتموه، ألا وإنه يجير على المسلمين أدناهم**».

فلما أجارته سألت زينب أباها ﷺ أن يرد عليه متاعه، ففعل وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً، فرجع أبو العاص بن الربيع إلى مكة المكرمة، فأدى لكل ذي حق حقه، ثم رجع مسلماً مهاجراً إلى الله ورسوله في شهر محرم سنة سبع للهجرة النبوية، فرد عليه الرسول ﷺ زوجه زينب، قيل بالنكاح الأول. وكان سبب طلب أبي العاص حماية زينب، أنه كان قد خرج إلى الشام في عير لقريش، فانتدب لها زيد في سبعين ومائة راكب من الصحابة، فلقوا العير في سنة ست للهجرة النبوية، فأخذوها، وأسروا أناساً منهم أبو العاص بن الربيع فطلب حمايتها حتى يرجع إلى مكة المكرمة ويؤدي الأمانات إلى أهلها، فلما أدى الأمانات رجع إلى المدينة المنورة معلناً إسلامه، فأكرمه الله أن وفقه للإيمان.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: ١]. إن الإسلام يسعى لإقامة ضوابط لحياة الناس، يقيمها ويحددها بدقة، ووضوح، ويربطها كلها بالله سبحانه وتعالى، ويكفل لها الاحترام الواجب، فلا تنتهك، ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات، ولا تخضع للمصالح العارضة

التي يراها بعض أفراد المجتمع أو تراها مجموعة أو تراها أمة فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط التي وضعها الله سبحانه وتعالى للمصلحة العامة لجميع البشر فهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها هي: المصلحة، ومادام أن الله هو الذي أقامها للناس،فالخير كل الخير في ذلك، فالله يعلم والناس لا يعلمون، وما يقرره الله خير لهم مما يقرره الناس.

أفضل الوفاء:

ويقال أكرم الوفاء ما كان عند الشدّة، وألأم الغدر ما كان عند الثقة، ذكر أعرابي رجلاً، فقال: أوله طمع وآخره يأس، وما هو إلا كالسراب يخلف من رجاه، ويغم من رآه، فهذا هو الغدر بعينه.

كان مرداس بن حدير بن عامر التميمي من الشجعان الأبطال والزهاد العباد، سجنه عبيد الله بن زياد، وأحبه لما رأى منه من الأخلاق الفاضلة، فأراد السجان أن يقدم له معروفاً، فقال له السجّان: أنا أحب أن أوليك حسنى، فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك، أتدلج عليَّ؟.